(٩٠) سورة البلد

فى رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة نزلت بمكة المكرمة بعد سورة "ق" آياتها عشرون، وأهدافها نفس أهداف السُّور المكية من تثبيت العقيدة والإيمان والتركيز على الإيمان بالحساب والجزاء، ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالبلد الحرام الذى هو مسكن النبى ﷺ تعظيما لشأنه وتكريما لمقامه الرفيع، ثم تحدثت عن بعض كفار مكة الذين اغتروا بقوتهم، فعادوا الحق وكذبوا رسول الله ﷺ وأنفقوا أموالهم فى التباهى والتفاخر ظنا منهم أن إنفاق الأموال يدفع عنهم عذاب الله، ثم تناولت أهوال القيامة وشدائدها، وما يكون بين يدى الإنسان فى الآخرة من مصاعب وعقوبات لا يستطيع أن يقطعها ويجتازها إلا بالإيمان والعمل الصالح، ثم ختمت السورة الكريمة بالتفريق بين المؤمنين والكافرين فى ذلك اليوم العصيب وبينت حال السعداء ومصير الأشقياء.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠ ﴾

معانى المفردات:

لا أقسم: أقسم ولا مزيدة بهذا البلد: مكة المكرمة

حلٌّ بهذا البلد: حلال لك ما تصنع به يومئذ

كبد: نصب ومشقة أو مكابدة مالا لبدا: كثيرا

النجدين: الطريقين طريق الخير وطريق الشر

فلا اقتحم العقبة: جاهد نفسه فى الطاعات

فك رقبة: تخلصها من الرق بالإعتاق

مسغبة: مجاعة مقربة: قرابة فى النسب

مترية: فاقة شديدة المشأمة: الشؤم

نار مؤصدة: مغلقة أبوابها

التفسير:

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ يقسم الله عز وجل بالبلد الحرام مكة المكرمة، التى شرفها الله تعالى بالبيت العتيق _ قبلة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ومهبط الرحمات قال فى التسهيل: أراد بالبلد "مكة" باتفاق وأقسم بها تشريفا لها[1] ﴿ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ أى وأنت يا محمد ساكن ومقيم فى مكة بلد الله الأمين قال البيضاوى: "قسم بالبلد الحرام وقيَّده بحلوله عليه الصلاة والسلام فيه – أى إقامته فيه – إظهارا لمزيد من فضله وإشعارا بأن شرف المكان بشرف أهله[2] ﴿ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴾ أى وأقسم بآدم وذريته الصالحين، قال الخازن: أقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها، وبآدم وذريته الصالحين، لأن الكافر _ وإن كان من ذريته _ لا حرمة له حتى يقسم به[3] ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ هذا هو المقسم عليه أى لقد خلقنا الإنسان فى تعب ومشقة، فإنه لا يزال يقاسى أنواع الشدائد، من وقت نفخ الروح فيه إلى حين نزعها منه، قال أبو السعود: والآية تسلية لرسول الله ﷺ مما كان يكابده من كفار مكة[4] ﴿ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ﴾ يخبر الله عز وجل عن طبيعة الإنسان الجاحد بقدرة الله والمكذب للبعث والنشور أى أيظن هذا الشقى المغتر بقوته أن الله

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/١٩٩.

(٢) البيضاوى ٣/٦٦٠.

(٣) تفسير الخازن ٤/٢٤٨.

(٤) تفسير أبى السعود ٥/٢٦٥.

تعالى لا يقدر عليه لشدته وقوته؟ قال المفسرون: نزلت فى "أبى الأشد بن كلده"[1] كان شديدا مغترا بقوته ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴾ أى أنفقت مالا كثيرا فى عداوة محمد ﷺ قال الألوسى: يقول ذلك فخرا ومباهاة على المؤمنين، وأراد بذلك ما أنفقه رياء وسمعة وعبر عن الإنفاق بالإهلاك، إظهارا لعدم الاكتراث وإظهارا لشدة عداوته لرسول الله ﷺ[2] ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ أى أيظن أن الله تعالى لم يره حين كان ينفق ويظن أن أعماله تخفى على ربِّ العباد؟ ليس الأمر كما يظن بل إنَّ الله تعالى رقيب مطلع عليه سيحاسبه على ذلك يوم القيامة ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ أى ألم نجعل له عينين يبصر بهما؟ ولسانا ينطق به؟ وشفتين يطبقهما على فمه ويستعين بهما على الأكل والشرب؟ وبيَّنا له طريقى الخير والشر، والهدى والضلال ليسلك بها طريق السعادة ويتجنب طريق الشقاوة. ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ أى فهلا أنفق ماله فى اجتياز العقبة الكئود بدلا من أن ينفق ماله فى عداوة رسول الله ﷺ، قال فى البحر المحيط: والعقبة استعارة للعمل الشاق على النفس تشبيها له بعقبة الجبل وهو ما صعب منه وقت الصعود ومعنى اقتحمها دخلها بسرعة وشدة[3] ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ أى وما أعلمك يا محمد ما اقتحام العقبة؟ وفيه تهويل لشأنها ثم فسّرها سبحانه وتعالى بقوله: هى ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ أى عتق الرقبة من الرِّق فى سبيل الله وتخليص صاحبها من الأسر والرِّق ﴿ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴾ أو إطعام للفقير فى يوم عصيب ذى مجاعة شديدة، قال الصاوى: وقيَّد الإطعام بيوم المجاعة لأن إخراج المال فيه أشدُّ على النفس[4] ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ أى إطعام الطعام لليتيم الذى بينه وبينه قرابة أو المسكين الفقير البائس الذى قد لصق بالتراب من فقره وضُره وهو كناية عن شدة الفقر والبؤس، ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أى عمل هذه القربات لوجه الله تعالى، وكان مع ذلك

---

(١) صفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابونى ص ١٧٢٧.

(٢) الألوسى ١٣٦/٣٠.

(٣) تفسير البحر ٤٧٦/٨.

(٤) حاشية الصاوى على الجلالين ٣٢٢/٤.

مؤمنا صادق الإيمان، ﴿ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ أى أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الإيمان وطاعة الرحمن، وبالمرحمة والشفقة على الضعفاء والمساكين، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ أى إنَّ هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات الحسنة هم أصحاب الجنة الذين يأخذون كتبهم بيمينهم ويسعدون بدخول جنات النعيم ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ قارن الله عز وجل بين الأبرار والفجار على طريقة القرآن الكريم فى الترغيب والترهيب، لبيان المفارقة الهائلة بين أهل الجنة وأهل النار، وبين السعداء والأشرار، أى والذين جحدوا بنبوة محمد ﷺ وكذبوا بالقرآن الكريم هم أهل الشمال _ أهل النار _ لأنهم يأخذون كتبهم بشمائلهم، ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ أى عليهم نار مطبقة عليهم مغلقة، لا يدخل فيها روح ولا ريحان، ولا يخرجون منها أبد الزمان، اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك يا ربَّ العالمين وأكرم الأكرمين[1].

الإعراب:

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ	لا مزيدة لتأكيد القسم، أقسم مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا يعود على الله عز وجل بهذا جار ومجرور متعلقان باقسم البلد بدل مجرور.
وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ	الواو حالية أنت ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، حل خبر مرفوع بالضمة الظاهرة والجملة فى محل نصب حال، بهذا البلد سبق أعرابها.
وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ	عطف على القسم السابق والمراد بالوالد هو أدم عليه السلام كما سبق فى التفسير وما ولد المراد به الصالحون من ذرية أدم وما اسم موصول بمعنى الذى وجملة ولد جملة الصلة لا محل لها من الإعراب.
لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ	الجملة جواب القسم، اللام واقعة فى الجواب قد حرف تحقيق

[1] صفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابونى ص ١٧٢٨.

فِي كَبَدٍ	مبنى على السكون، خلقنا فعل ماض مبنى ونا الفاعلين فى محل رفع فاعل الإنسان مفعول به منصوب، فى كبد جار ومجرور متعلقان بمحذوف فى محل نصب حال.
أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ	الهمزة للاستفهام الإنكارى، يحسب مضارع مرفوع والفاعل مستتر يعود على الإنسان، أن مخففة من الثقيله واسمها ضمير الشأن لن حرف نفى ونصب واستقبال يقدر مضارع منصوب بلن، عليه جار ومجرور متعلقان بيقدر، أحد فاعل ليقدر.
يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا	الجملة حالية أو استئنافية، يقول مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة والفاعل ضمير مستتر تقديره هو أهلكت فعل ماض مبنى والتاء تاء الفاعل مالا فى محل نصب مقول القول لبدا نعت منصوب.
أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ	الهمزة للاستفهام الإنكارى، يحسب مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو أن مخففة من الثقيلة، لم حرف نفى وجزم علامة جزمه حذف حرف العلة والهاء ضمير مبنى فى محل نصب مفعول به مقدم، أحد فاعل مؤخر.
أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ	الهمزة للاستفهام التقريرى، لم حرف نفى وجزم، نجعل مضارع مجزوم والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله عز وجل، له جار ومجرور متعلقان بنجعل عينين مفعول به منصوب بالياء ولسانا معطوف منصوب، شفتين معطوف منصوب بالياء وهديناه فعل وفاعل ومفعول والجملة معطوفة على نجعل، النجدين مفعول به ثان منصوب بالياء.
فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ	الفاء عاطفة، لا نافية اقتحم فعل ماض مبنى والفاعل ضمير مستتر تقديره هو العقبة مفعول به وما الواو اعتراضية، ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ وجملة أدراك هى الخبر فى محل رفع ما استفهام فى محل رفع خبره العقبة مرفوع والجملة الاسمية المعلقة بالاستفهام فى محل نصب سدت مسد مفعول أدراك الثانى.

فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ	فك رقبة خبر لمبتدأ مضمر أى هو فك رقبة والتقدير ما هو اقتحام العقبة هو فك رقبة أو حرف عطف مبنى على السكون إطعام معطوف مرفوع على فك، وقرئ فَكَّ رقبة فك فعل ماض وفاعله مستتر ورقبة مفعول به منصوب والجملة الفعلية عندئذ بدل من قوله اقتحم العقبة المنفى بلا فكأنه قيل فلا فك رقبة ولا إطعام فى يوم جار ومجرور متعلقان بإطعام ذى نعت ليوم مجرور بالياء، مسغبة مضاف إليه بينما مفعول الاطعام استوفى شروط النصب على أنه مصدر ذا مقربة نعت ليتيما وذا مترية نعت لمسكينا.
ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ	ثم حرف عطف مبنى يفيد التراخى، كان فعل ماض مبنى واسمها ضمير مستتر من الذين خبر شبه جملة فى محل رفع وجملة آمنوا صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وتواصوا عطف على جملة الصلة داخل فى حيزها وبالصبر جار ومجرور متعلقان بتواصوا، وتواصوا بالمرحمة عطف أيضا.
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ	أولئك اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ، وأصحاب خبر والميمنة مضاف إليه مجرور والذين اسم موصول مبنى فى محل رفع مبتدأ وجملة كفروا صلة الموصول، بآياتنا جار ومجرور متعلقان بكفروا، وهم ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ أصحاب خبر مرفوع المشئمة مضاف إليه، عليهم جار، ومجرور فى محل رفع خبر مقدم ونار مبتدأ مؤخر، مؤصدة نعت لنار والجملة خبر ثان ولك أن تجعلها استئنافية[1].

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من صور البيان والبديع نذكر منها:

- الاستعارة فى قوله "وهديناه النجدين" أى طريق الخير والشر وأصل النجد الطريق المرتفع فاستعير كل منهما لسلوك طريق السعادة وسلوك طريق الشقاء.

---

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش المجلد العاشر ص ٤٩٠.

- كذلك الاستعارة فى قوله "فلا اقتحم العقبة" لأن أصل العقبة الطريق الوعر فى الجبل واستعيرت هنا للأعمال تصعب وتشق على النفوس ففيه استعارة بديعة.
- الجناس فى قوله "ووالد وما ولد" جناس اشتقاق فكل من الوالد والولد مشتق من الولادة وكذلك الجناس الناقص فى قوله "مقربة مترية".
- الاستفهام الإنكارى فى قوله "أيحسب أن لن يقدر عليه أحد" ومثله "أيحسب أن لم يراه أحد" والمراد بها التوبيخ كذلك الاستفهام فى قوله "وما أدراك ما العقبة" والغرض منها التهويل والتعظيم.
- فى قوله تعالى "لا أقسم بهذا البلد" فلا هنا لتأكيد الكلام بمعنى أقسم.
- المقابلة اللطيفة بين قوله تعالى "أولئك أصحاب الميمنه" وقوله تعالى "هم أصحاب المشأمه.

السجع الجميل غير المتكلف فى السورة بأكملها.